جمع شمل الأمة واستنهاض طاقاتها

عنوان من الإصدارات العربية الجديدة

الثقافة العربية ومجتمع المعلومات.. عنوان أعمال الدورة القادمة لمؤتمر وزراء الثقافة العرب

■ عبدالهادي نافل العجمي

■ د/ عمر حلبلب

▫ يحيى يخلف: مهمة المثقفين العرب في هذه المرحلة هي زرع بذور الأمل

▫ انتخاب الدكتور عمر حلبلب رئيساً للمكتب الدائم للجنة الثقافية العربية للعامين القادمين

الاقليمية والدولية ومن بينها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حتى تتسق جهوده معها تنسيقاً وتعاوناً وتكاملاً.

يسعدني في هذه المناسبة أن أرفع إلى مقام فخامة الرئيس علي عبدالله صالح أيده الله أسمى آيات الشكر والعرفان على فضل الرعاية وكريم الاهتمام ،والشكر موصول إلى معالي وزير الثقافة ورجاله العاملين في خدمة الثقافة على استضافة هذا المؤتمر وتوفير الإمكانات اللازمة لانجاحه.

والله نسال أن يأخذ بايدينا جميعاً إلى طريق الخير والصواب ،وأن يوفقنا دائماً لخدمة الميدان الثقافي الذي نتطلع لأن يقوم بدور فاعل في سبيل خدمة الساحة الثقافية العربية وإثرائها".

لا تنقصنا عناصر القوة والفعل

● كما كان للسيد محمد الأشعري -وزير الثقافة بالمملكة المغربية كلمة ألقاها عنه بالنيابة رئيس الوفد المغربي المشارك- جاء في الكلمة:

-"اسمحوا لي في مفتتح كلمتي هذه أن انوه بمجهودات الجمهورية اليمنية التي بذلتها في استضافة هذا المؤتمر، بتوفير كل الشروط التنظيمية والإنسانية لإنجاح هذه الدورة، واستغل هذه المناسبة لاتقدم لها بالشكر والثناء على ما قدمته من خلال كل الهيئات المسئولة، وأخص بالذكر وزارة الثقافة والسياحة التي وفرت -وبحرص- كل سبل النجاح للمؤتمر كما أهنئ السيد الوزير على ديناميكيته وتفانيه سواء في هذا الجانب أو في أن يجعل من محطة صنعاء عاصمة للثقافة العربية علامة متميزة بزخم الفعاليات وتراكمها الكمي والنوعي، حيث بوأها جسراً للتلاقي والحوار طيلة السنة ليس بين العرب فقط ولكن بين الثقافة العربية والثقافات الإنسانية في مجموعة من المناطق العالمية ومن مناخ جغرافية وحضارية مختلفة.

إن مؤتمرنا ينعقد من أجل تقييم ومتابعة ما التزمنا به في الدورة السابقة والاعداد لما سيتم ما بين الدورة الحالية والتالية لها، لذلك فإننا نطمح أن تتم في هذا المؤتمر وقفة للتأمل ومكاشفة الذات، ونطرح سؤالاً لا بد منه: الثقافة العربية إلى أين؟

ولا شك في أن هذه الدورة تنعقد ونحن نستجلي هشاشة الآن، وما تهدد كياننا من شتى العواصف التي تستهدفنا في مناطق متعددة ولا يمكن التصدي لهوجائيتها بالصدأ الايديولوجي أو التقوقع أو فتح النوافذ لسمومها كي تعيث فساداً أو الهروب إلى الأمام كحل أسهل، أو نبرئ ذمتنا بقبول الأمر الواقع، فالتاريخ لا يقبل السهو أو السرود، ولا يعترف إلا بالفاعلين فيه.

فنحن لا نعاني من اليتم الحضاري وقد كنا رواداً ، ولا نحن بعاجزين على أن نستمر مثل ما كنا في الماضي مساهمين منتجين ومؤثرين في الثقافة والحضارة الإنسانيتين، ولا ينقصنا من عناصر القوة والفعل مما نتوفر عليه من مؤهلات وكنوز وطاقات خلاقة، واستاذنكم في أن استحضر هنا كيف كانت ثقافتنا مانحة- بالتعبير الاقتصادي المعاصر- وتتبادل التلاقح الإيجابي، ومنارة مشعة في مواقع متعددة من العالم فكيف تصبح الآن مهددة؟

كان من أهم عناصر قوتنا الانطلاق من الامتلاء الروحي والثقة في النفس ومن ثوابت ثقافتنا العربية هي الوفاء للذاكرة والتمسك بالجذور وفي نفس الآن الانفتاح وعدم الانغلاق أو معاكسة التاريخ.

ولا يغيب عنا أن المستقبل للتكتلات مما يهدد بتلاشي الانعزال والانغلاق والشرود عن العمل المشترك، وأن الذاتية الثقافية مطلوبة لمواجهة التنميط والهيمنة ،وأن الثقافة الحوارية -وثقافتنا تتميز بها- في مواجهة التحنيط، ولذلك فإن المغرب معكم في العض على النواجذ على كل ما يزيح الحواجز أمام طموحاتنا المشتركة، والتمسك بكل ما يسمح لنا بالعمل المشترك والمتكامل، لأننا مهددون ،مهددون، مهددون.

ولهذا فإن المملكة المغربية -من خلال وزارة الثقافة- تتبنى أي مبادرة من أجل التكامل والعمل المشترك، وتنخرط فيها، وتعمل على تفعيلها بحماس وثقة في مردوديتها، وذلك يتم من خلال الحرص على ما يقربنا ويجعلنا متشاركين بهوية متجددة وفية للجذور ومنخرطة في الأفق الكوني، وذاكرة تنظر إلى المستقبل، مقتنعين بأن علينا أمانة في أعناقنا أمام الأجيال القادمة التي ستجد نفسها أمام مجتمع المعلومات والطرق السيارة لتقنيات التواصل، والسعي إلى الهيمنة واستئصال جذور الهويات من تربتها التاريخية والحضارية.

وخير دليل ما يقع من مؤامرات تنجلي بعض عناصرها وتتخفى أخرى في مناطق عديدة من الوطن العربي وأوضح مثال صارخ ما يحدث في فلسطين من محاولات التدليس والتنسيب المزور للتراث إلى العدو، وما يتم من تدمير واقتلاع، يواجه كل ذلك بتمسك بطولي وخرق للحصار والتعتيم والتزوير بالاجتهاد والإبداع، فبقدر ما يقاوم الشعب الفلسطيني من أجل إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف بقدر ما يقاوم الشعب الفلسطيني من أجل حماية ثقافته وتراثه ومساهمة وسيرورة الإنتاج الثقافي العربي والإنساني وخيراً فعلت الدورة السابقة في إقرار النموذج الفلسطيني لتمثيل وإبراز دور الثقافة في الحفاظ على الهوية ليكون الموضوع الرئيسي لهذه الدورة".

من الخندق الفلسطيني

● ومن جانبه ألقى الأستاذ يحيى يخلف -وزير الثقافة الفلسطيني -كلمة قال في مستهلها:

-"اسمحوا لي في البدء أن أنقل لكم أمانة الجبل الذي لا تهزه الريح، أمانة للأمة العربية كلها، ملء وجدان الوفاء، من قبس من إرث رئيسنا ورمز نضالنا الخالد أبو عمار، فلا ينطفئ ولا يرحل ولا يغيب. وأكاد أقول أنها تحيات الرئيس، كما كانت وكما تكون في كل مؤتمر ولقاء ،وهل لأي ربح، مهما عنت، أن تقوى على هذا القيد الذي ينبثق من جبل الصمود والخلود، ومما نقشناه على القلوب ،لعدة أجيال؟

وأحمل لكم على حبة القلب، تحية الشعب الفلسطيني كله، تحية القابضين على الجمر، والثابتين على أرض الرسالات، في الخندق الأمامي للثقافة العربية، في مواجهة الغزو والنفي والإبادة".

وأضاف الوزير الفلسطيني مخاطباً المشاركين في المؤتمر:

-"من الخندق الفلسطيني الذي يرى بالثقافة العربية قوته الحضارية القادرة رغم العزل والقتل والحصار، على أن تتحدى التفوق العسكري الإسرائيلي، أحمل لكم تجليات هذا التحدي ،وهي تصعد من بين الأنقاض والخرائب التي فرضتها عليها إسرائيل، بمخالف إرهاب الدولة، وأنياب الاحتلال الاستيطاني العنصري.

من القدس زهرة المدائن، عاصمة الروح والوعي والعدل والسلام، أحمل لكم شغف المكان والزمان فيها لحماية مقدساتها وذاكرتها وتراثها من التهويد والطمس والتشويه.

من كل فلسطين من رفح إلى جنين، أحمل لكم قبساً له شرعية الحياة والحق، من شعلة ثقافة المقاومة والانتفاضة ضد الاحتلال الإسرائيلي القائم بجميع مراحله، وكل أشكاله الإرهابية.

إن أسرائيل كما تعلمون، تحاول ضمن برنامجها الاحتلالي الاستعماري المستمر، على مدار أكثر من نصف قرن، أن تطفئ هذه الشعلة عبر تحطيم الهوية العربية لشعب فلسطين.. وطالما أن الثقافة العربية هي جوهر هذه الهوية، فإن العدوان الإسرائيلي بأكمله، وبكل ما يملك من أدوات ووسائل البطش والتدمير، يندفع مباشرة إلى هذه الثقافة لقتلها فعلياً، وتعطيل قدرتها على النمو والتجدد والتطور والتحديث، وصولاً إلى قتل الهوية، وقتل التاريخ والجغرافيا، وقتل شعب فلسطين.

إن ما تتربع عليه إسرائيل من ترسانة عسكرية ضخمة، وقوة نووية تنفرد بها في المنطقة، ودعم أمريكي متواصل لها، يصل إلى حد التماهي معها، هو ما يدفع بها إلى هذا الغرور الكاسح الذي ينسج لها خيوط الوهم في أنها، وفق هذه العسكرة العدوانية الهائلة، قادرة على فرض الهزيمة على الوعي العربي، وتعميق تراجيديا النكبة فيه. غير أنه وهم بالضرورة.

كما هو وهم كل الامبراطوريات الغازية في التاريخ. ورغم أن إسرائيل لا تعترف إلى حينه بالموهوم الذي تغوص فيه، طالما ما تزال في أوج عسكرتها المنتصرة، إلا أن تماسك الوعي العربي القومي في رفض الهزيمة، وإصراره على تطوير المعنى التراجيدي للنكبة من قبول الضحية بجلادها واستسلامها الطوعي له، إلى الثورة والمقاومة، في سياق ثقافي متجدد، قد دفع باسرائيل ذاتها إلى الارتباك والحيرة والتناقض.

إن الوعي الإسرائيلي بذلك هو الذي يواجه هواجس الهزيمة وكوابيسها حتى وهو يتحصن بأعلى درجات العسكرة. ويمكن متابعة هذه الهواجس والكوابيس في عشرات الدراسات والأبحاث الإسرائيلية الحديثة في هذا الشأن. كما يمكن متابعتها في النصوص الروائية والقصصية والمجموعات الشعرية والنتاجات الفنية الجديدة، على وجه الخصوص، لهذا الوعي المأزوم.

ومن البداهة أن الثقافة العربية التي لم تختنق بالهزائم والنكبات، والتي استطاعت الخروج من سكينة الضحية المحكومة بالارث التراجيدي، إلى حيوية المواجهة بمعان متطورة من البطولة الإنسانية، ضد العدوان واغتصاب حقوق الآخر، والعنصرية والنفي والالغاء، هي التي زعزعت الوعي الإسرائيلي المجتمعي الثقافي، داخل حصنه العسكري المتين في الوقت الذي كرست فيه قوة الوعي العربي الثقافي بين أنقاض حصونه العسكرية المنهارة.

ندرك في فلسطين أن صراعنا مع الاحتلال هو في أعلى وأهم أشكاله صراع على هذا الوعي. وبقدر تنامي هذا الإدراك مرحلة بعد أخرى، يزداد التفافنا حول ثقافتنا العربية، وعلى فتح النوافذ والأبواب أمامها للتلاقي مع ثقافات كل الأمم والشعوب، على عكس إسرائيل التي تزداد انغلاقاً داخل حصنها العسكري، وتعمل على أغلاق كل النوافذ والأبواب أمام الآخر، تحت مسمى "معاداة السامية".

وهي في الواقع مسميات شتى تتغير حسب سياساتها، لتمرير أو تبرير عدوانية وعنصرية هذه السياسات الصهيونية المرتبطة بالعولمة الأمريكية والحروب الأمريكية من افغانستان إلى العراق، إلى أقطار أخرى عربية وغير عربية ،على قائمة هذه المسميات.

إن "عقلية الجيتو" التي تسيطر على إسرائيل في كل شئونها الإرهابية، هي التي تقف الآن وراء جدار الضم والتوسع العنصري الذي تبنيه حكومة ارئيل شارون داخل أرضنا الفلسطينية المحتلة منذ العام ١٩٦٧م، وهي التي تحول مدننا وقرانا ومخيماتنا إلى كانتونات وجزر مغلقة بمئات الحواجز العسكرية، وبالموت والخراب على مدار الساعة، ورغم أن الشرعية الدولية ممثلة بمحكمة لاهاي، أدانت هذا الجدار الأفعواني، وهذا التقطيع الكانتوني لوطننا، وطالبت بوقف هذه الجريمة الكبرى ضدنا، إلا أن إسرائيل بحكومة شارون، وجيشها، وعقليتها المتكمشة داخل الحصن/ القلعة المدججة بالسلاح، لا تكترث بكل هذا، بل أنها تسخر منه، وترى بالشرعية الدولية عدواً لها، وترى بـ"الآخر" أينما كان ظلاً وامتداداً لهذا العدو، في إطار ثقافتها الانغلاقية الانعزالية المعتمة.

إن وهم إسرائيل مستمر، وبالمقابل، إننا بموضوعية أكيدة، وبكل ما نحرص عليه من الوضوح والمكاشفة، نؤكد على ثقتنا الكبيرة بالثقافة العربية وبقدرة وعينا الثقافي على الانتصار.

هل ثمة تفاؤلية رومانسية في هذا المعنى؟ لا بأس، نحن نحتاج إلى شيء من الرومانسية في هذه المرحلة القاسية المريرة، كي نفهم صدق هذه التفاؤلية الثقافية ونحدب عليها باطمئنان وقوة.

إن مهمة المثقفين العرب في هذه المرحلة زرع بذور الأمل وإن مؤتمركم هذا وبهذا المعنى بالذات يوفر أسباباً كثيرة للتفاؤل والثقة والاطمئنان والأمل".

عنوان العمل القادم

● رئيس الوفد اللبناني الدكتور عمر حلبلب -مدير عام وزارة الثقافة اللبنانية- تم خلال اجتماع اللجنة الدائمة للثقافة العربية للتحضير للمؤتمر الأسبوع المنصرم في صنعاء انتخابه رئيساً للمكتب الدائم للجنة الثقافية العربية.. وحول رؤيته لعمل اللجنة خلال العامين القادمين قال لنا:

- "أرأس وفد لبنان إلى هذا المؤتمر.. وقبله كان هناك اجتماع أعضاء اللجنة الدائمة، للثقافة العربية الذين يمثلون كل الدول العربية وينبثق عن اللجنة المكتب الدائم للثقافة العربية ..ترشحت لرئاسته وفزت بالتزكية للعامين القادمين..

طرحنا في هذا المؤتمر العنوان الذي اختاره وزراء الثقافة العرب ليكون هو محور العمل للسنتين القادمتين ،نعمل على أساسه كمكتب دائم للثقافة العربية..

وكان العنوان الذي اقترحه الوزراء ووافقنا عليه جميعاً هو (الثقافة العربية ومجتمع المعلومات).. نحن قادمون إلى قمة المعلوماتية في العالم.. وهذا عنوان متخصص وبحدث نقلة نوعية ونظرة من الثقافة العربية إلى ما يجري الآن على مستوى العالم.. وهو مجتمع المعلومات.. نحن نتوق إلى أن تكون محاور عملنا في العامين القادمين تحديات الثقافة العربية أمام هذا المجتمع الحديث وهو مجتمع المعلوماتية بشكل أساسي..

عنوان هذا المؤتمر.. في هذا اليوم الذي نحن مجتمعون فيه هو تأكيد الهوية العربية وفلسطين نموذجاً.. وهناك أيضاً كثير من التوصيات التي يمكن أن تنضم ضمن هذا العنوان الذي عملنا كلجنة دائمة على هذه التوصيات وآلية العمل العربي المشترك وتكامل السياسات الثقافية العربية ومدى تفعيل هذه الثقافات بشكل أساسي.

وأتمنى إن شاء الله وهذا هو الاتجاه أن نتبنى نحن كمؤتمر كل هذه التوصيات لاحقاق آلية مشتركة للعمل الثقافي العربي المشترك".

قضايا أساسية

● عبدالهادي نافل العجمي -الأمين العام المساعد للمجلس الوطني الكويتي للثقافة والفنون والآداب - تحدث عن أهمية تفعيل ومتابعة تطبيق توصيات المؤتمر قائلاً:

- "نسعد بأن نكون في صنعاء عاصمة الثقافة العربية لحضور مؤتمر وزراء الثقافة العرب.. وتطلعاتنا وآمالنا كبيرة بأن تكون الثقافة هي جسر التواصل والمحبة بين الشعوب العربية.. وهي التي تستطيع أن تنقل ما يجول في أفكارهم وضمائرهم لأجل مصلحة الأمة العربية.. وهذا المؤتمر ركز على قضايا أساسية، من ضمنها الدفاع عن الهوية العربية وفلسطين نموذجاً.. وقد كان هناك مناقشات طويلة حول هذا الموضوع وعدة مقترحات بدعم صمود أبناء فلسطين في الأراضي المحتلة وتثبيت هويتهم.. كما أن هناك مطالبة بأن يتيح تسجيل ممتلكاتهم التاريخية من خلال اليونسكو والمحافظة عليها وأن يكون هناك دعم مباشر لأبناء الأراضي المحتلة من خلال مختلف الجمعيات بما فيها الجمعيات الأهلية وايصال العديد من المطبوعات والنشر في ما يخص النشء والأطفال التي تحثهم على التمسك بأراضيهم وانتماءاتهم.. كما أن هناك مقترحاً طرح من قبل الجمهورية اليمنية بأن يكون هناك يوماً للثقافة العربية وهذا شيء يبشر بالخير ويفرح.. وقد تم الاتفاق أن يكون هذا اليوم متزامناً مع تاريخ انشاء المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الكسو) في ٢٥يوليو من كل عام..

وقد قدمت دولة الكويت مقترحات في هذا الإطار بالذات بأن يكون هناك برامج مشتركة تبث في هذا اليوم بشكل موحد من خلال وزارات التعليم والمدارس وأن تكون هناك مسابقات في القصة والرواية والمسرحية لتشجيع الشباب والنشء..

وأيضاً تكون هناك برامج ثقافية موحدة في ذلك اليوم من خلال اتحاد الإذاعات العربية..

وأتصور أن كل هذه الأمور تدعم التواصل والاتصال بين الأمة العربية.. ولا شك بأن هناك موضوعاً حيوياً وحساساً وهو الدفاع عن الهوية العربية في القدس ومنع طمسها فالقدس كانت وما تزال وستبقى هي قضيتنا المركزية.. وهي محور الصراع العربي الإسرائيلي.. والقدس يجب أن يكون هناك دعم مباشر لمكتباتها ومساجدها ولتراثها ولتاريخها وأن تسخر لها كل السبل كي تبقى عاصمة فلسطين إن شاء الله.. وأن تتحقق أمنية الشعب العربي الفلسطيني".

بيان صنعاء

● وتمخضت اجتماعات الدورة الرابعة عشرة لمؤتمر الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية في الوطن العربي في ختامها عن (بيان صنعاء) التالي:

- إن الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية في الوطن العربي المجتمعين في الدورة الرابعة عشرة لمؤتمرهم بمدينة صنعاء، عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٤م يومي ١٨و١٩ شوال ١٤٢٥هـ الموافق ليومي ١و٢ ديسمبر ٢٠٠٤م بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وباستضافة من وزارة الثقافة والسياحة في الجمهورية اليمنية وبرعاية كريمة من فخامة الأخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية اليمنية. إذ يعربون عن تقديرهم للجمهورية اليمنية رئيساً وحكومة وشعباً لكرم الضيافة وحفاوة الاستقبال وشرف الرعاية، ويثمنون عالياً الإنجازات الثقافية الباهرة التي تحققت في عام صنعاء الثقافي في مختلف مجالات الفكر والأدب والثقافة والفن، وإذ يعبرون عن إكبارهم للدور الذي تقوم به المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في التمكين للوحدة الثقافية في أرجاء الوطن العربي كما جاء في ميثاق الوحدة الثقافية العربية ودستور المنظمة، وفي تحقيق اشعاع الثقافة العربية والإسلامية في الخارج، وفي التواصل مع الآخر بالحوار الثقافي والحضاري.

وإذ يعبرون عن ارتياحهم لانتظام أعمال مؤتمرهم بصفة دورية بهدف تنسيق سياساتهم الثقافية وتحقيق التعاون الثقافي العربي المشترك لما فيه مصلحة الأمة العربية وتقدمها يؤكدون على ما يلي:

-إن الثقافة العربية عنصر أساسي من عناصر الوحدة العربية، وهي التعبير الحي عن مشاعر الأمة وهمومها وتطلعاتها وآمالها.

- إن العمل العربي الثقافي المشترك هو الإطار الأمثل لجمع شمل الأمة واستنهاض طاقاتها الإبداعية لاستكمال مسيرتها الحضارية الضاربة الجذور في تراث عربي إنساني متميز، والمستشرقة لآفاق مستقبل نسعى لأن يكون زاهراً ومحققاً لطموحات أبناء هذه الأمة العريقة.

- إن اللغة العربية هي الحاضنة للفكر والثقافة والإبداع والحافظة للتراث وإن النهوض بها يجب أن يكون من الأولويات الأساسية في إرساء قواعد المشروع الثقافي العربي، وإن العناية بها من مرتكزات الحفاظ على الهوية الثقافية.

- إن التراث الثقافي والحضاري العربي يحتاج منّا إلى عناية خاصة للحفاظ عليه وصونه حيث يتعرض في كل من فلسطين والجولان والعراق لمحاولات طمس ونهب وسلب.

- إن ما تتعرض له المواقع والمدن التراثية والتاريخية في فلسطين وبخاصة في القدس وفي الجولان من اعتداءات إسرائيلية آثمة ومحاولات تهويد وطمس الهوية العربية والإسلامية يتطلب منا موقفاً حازماً لا سيما في المحافل الدولية خصوصاً في اليونسكو لتأكيد عروبة فلسطين والقدس والجولان وجنوب لبنان وصون هويتها الثقافية العربية، كما يستدعي دعم المؤسسات الثقافية الفلسطينية حتى تستطيع النهوض بمسئوليتها في الحفاظ على الهوية العربية.

- إن ما تعرض له التراث الثقافي في العراق من اعتداء وتدمير وما تعرضت له المتاحف والمكتبات والآثار من نهب وسلب وتحطيم يستدعي التنديد والاستنكار كما يدعو إلى اتخاذ التدابير العاجلة والفاعلة لإنقاذ هذا التراث وحمايته وصونه. وإننا لنناشد دول العالم والمنظمات والمؤسسات العربية والاقليمية والدولية المعنية بالتراث الثقافي لتقديم يد العون لاسترداد الآثار المنهوبة وصيانة ما تم تدميره من معالم وآثار وممتلكات ثقافية هي جزء من التراث الإنساني العريق.

- إن التحديات التي تواجه الثقافة العربية تستلزم انخراطنا في مجتمع المعلومات وامتلاكنا لناصية التقنيات الحديثة واستخدامها للتعريف بالثقافة العربية والإسلامية وتطوير أدوات خطابنا الثقافي العربي وعرض صورة ثقافتنا الحقيقية أمام العالم تصدياً لما تتعرض له من تشويه متعمد، وارتقاء بالحياة الثقافية في الدول العربية ليكون للثقافة العربية حضورها المشرف في المشهد الثقافي العالمي، ويكون للعرب دورهم الفاعل في تشكيل التراث الإنساني في الحاضر وفي المستقبل.

تصوير/ عبدالله حويس